المسلمون السوفيات

المسلمون السوفيات مجلد ٦، عدد ٤ نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٩٠

[Soviet Muslims 4/90]

■ المحتويات:

* الافتتاحية:
ـ القوانين الدينية الجديدة سارية المفعول ٣

* إختلافات سياسية:
ـ المسلمون والحرية الدينية ٤

* مشكلات إقليمية:
ـ كازاخستان: مزبلة الاتحاد السوفياتي ٥

* مؤتمرات:
ـ مؤتمر دولي حول آسيا الوسطى ٧

* أوروبا الشرقية:
ـ يوغسلافيا والمستقبل الغامض ٧

* الاتحاد السوفياتي والشرق الأوسط:
ـ الاتحاد السوفياتي وأزمة الخليج ٩

* مراجعة كتب:
ـ الاسلام والقومية ١٠

* مطبوعات:
ـ إصدارات جديدة عن آسيا الوسطى باللغة الانجليزية ١١

مركز الدعوة بماركفيلد ليستر ـ المملكة المتحدة هاتف: ٢٤٤٩٤٤ (٠٥٣٠) فاكس: ٢٤٤٩٤٦ (٠٥٣٠) تلكس ٣٤١٥٣٩ ISLAMFG

مختصر اوضاع المسلمين السوفيت

انه لمن الضروري ان تلم المعاهد الاسلامية والمؤسسات في العالم الاسلامي بأوضاع المسلمين في الاتحاد السوفيتي وسياسات الاتحاد السوفيتي الخارجية التي تعني بالمسلمين خارج الاتحاد السوفيتي. وبما ان منطقة آسيا الوسطى، ظلت حفيظة على الحضارة الاسلامية عدة قرون، فانها جديرة بأن تحظى باهتمام المسلم. ومجلة **مختصر اوضاع المسلمين السوفيت**، مجلة شهرية تصدرها المؤسسة الاسلامية، وهي محاولة فريدة لدراسة جادة لشؤون المسلمين السوفيت، لم تقدم عليها منظمة اسلامية من قبل.

وهذه المجلة تشكل اضافة هامة للرجل العادي وكذلك الاكاديمي وللعلماء والباحثين والطلاب الذين يعنون بأوضاع المسلمين في الاتحاد السوفيتي والوضع العام للدين في مناطق الحزام الشيوعي.

ومصادر اخبار هذه المجلة الاساسية هي، الدوريات، المجلات، الجرائد والكتب المطبوعة في الاتحاد السوفيتي. وعليه فهذه المجلة تعرض وجهة نظر الاتحاد السوفيتي الرسمية وتعامله مع الاسلام والمسلمين، مأخوذة من المصادر الاساسية.

ويرحب المحرر بالآراء والتعليقات والمقترحات المتعلقة بالمادة والاخراج في سبيل ترقية النوعية والاداء.

الاشتراك السنوي:

٤ جنيهات استرلينية للافراد «بالبريد الجوي»

٨ جنيهات استرلينية للمؤسسات والمكتبات «بالبريد الجوي»

المؤسسة الاسلامية
مركز الدعوة بماركفيلد
ليستر - المملكة المتحدة
هاتف: ٢٤٤٩٤٤ (٠٥٣٠)
فاكس: ٢٤٤٩٤٦ (٠٥٣٠)
تلكس: ٣٤١٥٣٩ ISLAMF G

The Islamic Foundation
Markfield Dawah Centre,
Ratby Lane, Markfield, Leicester,
LE6 0RN, UK
Tel: (0530) 244944
Telex: 341539 ISLAMF G
Fax: (0530) 244946

* الافتتاحية:

- القوانين الدينية الجديدة سارية المفعول

وافق المجلس السوفياتي الأعلى في أكتوبر الماضي على قانون "حرية التدين وإنشاء الهيئات الدينية"، فاستقبل الشعب السوفياتي هذا القرار بابتهاج كبير وهكذا، يعطي هذا القانون الأشخاص والهيئات الدينية عدة حقوق وحريات لم تكن متوفرة في الأنظمة السابقة. وسوف لن يحتاج بعد هذا القرار أي شخص للتخفي من أجل ممارسة اعتقاده الديني، ولكل واحد الحق في ممارسة طقوسه الدينية ودعوة الآخرين للانضمام الى معتقده.

وبالفعل استغل الكثير من الجماعات والتجمعات هذه الفرصة وبدأت برامجها مباشرة. بل أستغل بعضهم هذه الفرصة فأنشوا مدارسهم الدينية الخاصة. ويمكن أن نقول أنه حدث نوع من الاتفاق الثنائي بين الحكومة والمنظمات الدينية التي تعهدت بالعمل لأسباب إنسانية. والقانون بعد ذلك كله اعتراف من الاتحاد السوفياتي بالدور المتعدد الذي يمكن أن يلعبه الدين.

ومع هذا، فقد أظهر الكثير من المتدينين قلقهم من الشرط المتضمن في هذا القانون والذي يقضي بفصل المؤسسات الدينية عن الحكومة، وفصل المدارس عن المؤسسات الدينية. فهم يعتقدون أن الحكومة السوفياتية تستعمل هذه الدعاية الدينية لتثبيت سلطتها فقط، بعدما فشلت الدعاية الالحادية في ذلك.

ولكن هذا الأمر مستبعد نوعا ما، لأن التعليم في الاتحاد السوفياتي علماني، ولهذا فالحكومة لن تأخذ على عاتقها مسؤلية التعليم الديني، لأن في نية هذه السلطات إلقاء عاتق هذه المسؤولية على الهيئات الدينية الرسمية. ويبدو أن التعليم، وهو من النقاط المتنازع عليها كثيرا في هذا القانون، مازال يعاني كثيرا من قلة الأموال، وقلة الأماكن المخصصة له. لقد تركت الحكومة التعليم على طبيعته التطوعية، لهذا السبب يرغب الجمهور في تقديم اقتراحات جديدة حتى يتم إدراج تدريس الدين ضمن المناهج الدراسية في المدارس الحكومية.

كان المسلمون، قبل ثورة ١٩١٧، يتمتعون بكامل حريتهم في تعلم دينهم باللغة العربية ويبدو أن هذا القانون لايضمن عودتهم الى ما كانوا يتمتعون به قبل الثورة الشيوعية. ومن أجل تحقيق ذلك فهم يرغبون في تقديم طلب الى التشريع الجمهوري لمساندتهم الكاملة من أجل تحقيق هذا الغرض.

يبقى أن نقول أن اللجنة التشريعية على مستوى الجمهورية لم تظهر موافقتها على ذلك لحد الآن. لقد تم في السابق، بسبب القوانين القديمة، حجر ومصادرة كل البنايات التاريخية القديمة التي لعبت دورا كبيرا في حياة المسلمين. وهذا القانون الجديد لايوضح متى وكيف ستعود كل هذه الأماكن الى ملكية المسلمين، لتكون عربون احترام للحضارة الاسلامية. فرغم أن حالة هذه البنايات يرثى لها بسبب الاهمال، وبالرغم من أنها سوف لن تعرف إقبالاً شديداً من الشباب، إلا أن المسلمين مصممون على إعادة بنائها وإحيائها وذلك باستئناف تدريس الدين الاسلامي.

إن المشكل الحقيقي لايكمن في إصدار هذا القانون الجديد، بل في تطبيقه فعلياً. فعلى الرغم من أن الحكومة ـ بمقتضى هذا القانون ـ تسمح بالحرية الدينية، إلا أن عدد المنظمات الدينية التي قبلت الحكومة تسجيلها معدود جداً، الى حد جعل عدد المنظمات الدينية الغير الرسمية يفوق عدد المنظمات المسجلة رسميا.

فلحد الآن لايعرف متى وتحت أية ظروف يمكن تقديم الطلبات الرسمية لتسجيل هذه المنظمات الدينية، لأن القانون الحالي غامض جدا بخصوص هذه الأمور، ويبقى القانون هذا ـ في نهاية المطاف ـ تحت رحمة البيروقراطيين الذين مازالوا يتحكمون في زمام الأمور، على خلاف ماكان يُتوقع.

إن حقوق المتدينين في هذا القانون، شأنه شأن القانون السابق، غامضة جدا، ومن الممكن أن يواجهوا نوعا من التفرقة بحجة القوانين المدنية وقوانين المحافظة على الأمن الداخلي. كما يلقى هذا القانون الجديد معارضة شديدة من الملحدين، لأنه يعارض ـ حسب زعمهم ـ تكوين الأرضية الأيديولوجية لبناء وطن علماني. وهذه المعارضات لم تمنع أصحاب القرارات في الاتحاد السوفياتي من إدراك أن الأفكار والأيديولوجيات جزء متماسك من المجتمع الانساني، وعليه، فالواجب إعطائها فرصاً متساوية لكي تبرز للوجود. ويبقى بعد ذلك على الشيوعيين أن يقتنعوا أن إيجابية أية (وضعية) لأية أيديولوجية رحمة لكل مجتمع. فإنكار بسيط للأفكار الدينية قد أساء للعلاقات بين الدولة والأفراد، وقد حان الوقت للعودة بالعلاقات الى مجراها الطبيعي وذلك باحترام تطلعات كل الأفراد.

* إختلافات سياسية:

ـ المسلمون والحرية الدينية

كل التقارير القادمة من الاتحاد السوفياتي توحي أن كل شيء هناك على مايرام، فالبيروسترويكا والغلاسنوست يشقان طريقهما دون أدنى عائق. إذن فالأخبار جيدة جداً، فالشيوعية قد ذهبت دون رجعة، وكل الطوائف الدينية الأخرى تُعامل بمساواة وعدل كاملين.

أما حظ المسلمين من هذا الانفراج فواضح: لقد فتحت عدة مساجد كانت قد أغلقت لعدة عقود من الزمن.

وتقول جريدة البرافد (١٧ أكتوبر ١٩٩٠) في هذا العدد أن هناك حوالي ٧٥١ مسجداً بالاتحاد السوفياتي، وهي تزداد يوما بعد يوم. وعلى خلاف ماكان يجري في الماضي، فسوف تستقبل المدارس الدينية عدداً من الطلبة قد يصل الى المائتين، كما ستستقبل المؤسسات أعداداً منهم قد تصل الى المائة.

ومن جهة ثانية، وافقت لجنة أوزبكستان للشؤون الدينية على بناء مراقد وأماكن للتعليم ستخصص للمدارس والمؤسسات الدينية.

ويتوقع المسلمون أن الوضعية الجديدة هذه سوف تحدث تغيراً سريعاً في حالتهم الراكدة التي سببها الحزب الشيوعي بسبب سياسته الفاشية التي تلاحق المصلين (برافد سبتمبر ١٩٩٠).

وسيظل المسلمون، بالرغم من إنجازاتهم الكثيرة، قلقين من السياسة الحالية للحزب الحاكم. فلقد اشتكت البرافدا (١٤ سبتمبر ١٩٩٠) من الحزب الشيوعي السوفياتي ومن دستور الحزب الشيوعي الأوزبكستاني اللذين لايوضحان سياستهما من الدين. كل مايفعلانه هو التهجم على القومية، بالرغم من تطرقهما الى احترام التقاليد الوطنية والتراث التاريخي والثقافي واللغوي لكل الشعوب ولكن دون ذكر كلمة واحدة عن وضعية الدين. ومادام كيان الحزب الشيوعي السوفياتي قائماً، فإن عضوية أي فرد متدين ستبقى محل نزاع وخلاف كبيرين.

إن الحرية التي تسمح بتعدد الأحزاب في الاتحاد السوفياتي تعد كابوساً بالنسبة للمسلمين. لقد قرر المسلمون إسهاماً منهم في استغلال جو الحرية السائد في البلد تشكيل حزب سياسي أسموه حزب التجديد الاسلامي (المسلمون السوفيات مجلد٦، عدد٣، ١٩٩٠) ولكن الحزب لاقى معارضة من السلطات الحاكمة. وقرر المجلس البرلماني في طاجقستان عدم شرعية هذا الحزب لأنه ـ حسب زعمه ـ لايتفق مع دستور الجمهورية (برافدا ١٦ أكتوبر ١٩٩٠).

عقد الحزب الاسلامي جلسته الافتتاحية يوم ٩ أكتوبر ١٩٩٠ في ضواحي (دشامبي) عاصمة طاجقستان. لقد اتّهم السيد (خوفا يدولياف)، رئيس اللجنة التشريعية العليا بطاجقستان هذا الحزب بمحاولته لزيادة إشعال نار الفتنة بين الطوائف العرقية المختلفة. ولهذا السبب تم معاقبة بعض أفراد هذا الحزب (الأسماء التي أُعلن عنها كانت: اسمانوف، تافاروف، كخيمانوف) واضطروا لدفع مبالغ مالية كبيرة، كما تم إرسال توبيخات وتحذيرات الى منظمين آخرين.

ويلقي هذا الحزب الاسلامي الجديد تأييداً كبيراً من الجماهير، بالرغم من المعارضة الواضحة من رجال الدين الرسميين مثل قاضي طاجقستان السيد (أكبر تورا دهوتروف)، وقد ندرك مدى تشجيع الجماهير لهذا الحزب، إذا عرفنا أن الشباب المسلم ـ خاصة ـ قد تظاهر أمام المحكمة احتجاجاً على العقوبات القانونية التي فرضت على بعض أعضاء الحزب.

إن الفقرة رقم ٥ من قانون الاتحاد السوفياتي العام، الذي تم الموافقة عليه يوم ٨ أكتوبر ١٩٩٠، حول حرية الاعتقاد وتشكيل الهيئات الدينية يقف حجر عثرة في وجه مشاركة المنظمات الدينية في الحياة السياسية أو تزويدها بأي دعم مالي. كل ماتبقى بعد ذلك هو حرية رجال الدين في المشاركة في الحياة السياسية على انفراد.

* مشكلات إقليمية:

ـ كازاخستان مزبلة الاتحاد السوفياتي

الانفصال عن موسكو هو حديث الساعة في كل جمهوريات الاتحاد السوفياتي تقريبا. لقد وافقت ١٣ جمهورية على قرار برلماناتها بالاستقلال عن الحكم المركزي لموسكو، في نفس الوقت، بدأت الحركات القومية بالنمو تدريجيا في آسيا الوسطى. وبينما التزمت الجمهوريات البلطيقية بالحوار مع الكرملين حول مبدأ الاستقلال، جلبت بعض الجمهوريات، مثل كازاخستان، أنظار الملاحظين بسبب المصائب

البيئية التي حلت بها، وليس بسبب الاعتقالات في أوساط القوميين، إذ لو استعملنا مقاييس عهد غورباتشوف السياسي فإن كازاخستان منطقة هادئة جداً.

إن الشغل الشاغل للاهالي في كازاخستان هو الحالة التي توجد بها البيئة، لقد صمم النظام الستاليني سياسته المركزية على تدمير كازاخستان، بكل مافي كلمة تدمير من معنى. فلقد استعمل الكرملين هذه المنطقة كمزبلة، كدّس فيها كل المواد الصناعية السامة، ونفى إليها كل الأشخاص الغير مرغوب فيهم.

لقد استعملت الحكومة السوفياتية كازاخستان للتجارب النووية، وتشييد الصناعات الكيمياوية التي كانت سبباً في تجفيف بحر (أرال) وغطت كل المنطقة بغمامات سوداء من الغازات، وعملت السلطات السوفياتية على تهجير آلاف من السوفياتيين الموجودين في الجمهوريات المختلفة الى كازاخستان، وبنت فيها أكبر شبكة للسجون ومعتقلات الأعمال الشاقة في الاتحاد السوفياتي.

وفي هذا الصدد أكد السيد سوليمنيوف، أحد الرسميين الكبار في كازاخستان في حديث صحفي "أن كازاخستان كانت سلة مهملات لكل أوساخ الاتحاد السوفياتي. لقد رأت موسكو أن بإمكانها أن ترسل كل صناعاتها القذرة الى كازاخستان دون خشية حسيب أو رقيب. وأكثر شيء مؤلم في كل هذا هو كون ٩٣٪ من الصناعات الموجودة هنا ملك للمركز، فنحن نعاني الويلات ولكننا لانكسب أي شيء... لقد تُركنا لوجودنا في أرض مسمومة".

لقد أساء السوفيات استعمال بحر (أرال) لعدة عقود من الزمن، مما تسبب في تجفيفه، وقد كان المصدر الرئيسي في سقي حقول القطن. وإضافة الى الاختفاء التدريجي لهذه البحيرة نلاحظ عدة آثار سلبية بدأت تترك بصماتها المدمرة على المنطقة. فالمياه الطبيعية في هذه المنطقة متسممة (بفعل تسمم الأرض)، الأمر الذي زاد في وفيات الأولاد وحدوث الأمراض الخطيرة. وأضاف السيد سولييميوف قائلاً: "لقد تم تدمير الهواء كلية بالقرب من منجم الرصاص في منطقة (سمقنط) بجنوب كازاخستان... وفي (ذراهمبول) ملأت المناجم الكيمياوية كل الهواء بغيوم فوسفورية صفراء غطت كل المدينة".

وإضافة الى كثير من المصانع التي لوثت الهواء والبحر، أجريت مئات من التجارب النووية في كازاخستان: لقد تم ذلك فوق سطح الأرض، في بداية الأمر، ثم نقلوا التجارب الى تحت سطح الأرض. وينقل المتكلم باسم حقوق الانسان في الاتحاد السوفياتي السيد (سخاروف) في مذكراته هول مارءاه عندما تم إجراء التجارب النووية الأولى في هذه المنطقة، حيث شاهد الأثر المدمر الذي تركته على الأرض التي مُلئت بجثث الطيور. ونقل أنه سمع عن موت الكثير من الأهالي بسبب إصابتهم بالاشعاع النووي.

وفي عام ١٩٨٩، كوّن السيد سولييمينوف حركة منظمة لوقف التجارب النووية في كازاخستان حصل - إثرها - على ضمانات من الحكومة السوفياتية بإيقافها.

* مؤتمرات:

- مؤتمر دولي حول آسيا الوسطى

عُقد المؤتمر الدولي الرابع حول آسيا الوسطى في الفترة مابين ٢٧ - ٣٠ سبتمبر ١٩٩٠، بجامعة وينسكانسين - ماديسون (الولايات المتحدة)، وكان موضوع اللقاء: "اللغة، الجنسية والنظام الاجتماعي في آسيا الوسطى ١١٠٠ - ١٩٩٠".

موّل هذا المؤتمر، بمساعدة جهات أخرى، كلية التاريخ بجامعة وينسكاسين - ماديسون، ونُظِّم بمساعدة إتحادية دراسات آسيا الوسطى ACAS.

شارك في هذا اللقاء علماء من أنحاء كثيرة من العالم، ومُثِّل الاتحاد السوفياتي وحده بعشرين باحث.

قُدمت في هذا المؤتمر حصص فورية مستمرة في مدرجين مختلفين، ووصل عدد البحوث المقدمة الى حوالي ٥٥ بحث... كما خصصت هذه البحوث لتغطية شؤون الجمهوريات المختلفة في آسيا الوسطى: اذربيجان، تركستان ...الخ.

ولقد كانت محاضرة شيخ إسلام أذربيجان السيد الهشكور باشازادي من اللحظات الممتعة التي عرفها المؤتمر، فقد تمكن من تحليل أزمة اذربيجان الخالية بنفس طويل.

أما في آخر يوم من أيام المؤتمر فلقد تم عرض فليم فيديو عن العصيان المدني الذي حدث في كانون الثاني بمدينة باكو.

كما عرف المؤتمر تغطية إعلامية جيدة، ضمت ممثلين عن صوت أمريكا. وعموماً يمكن أن نقول أن المؤتمر كان ناجحاً.

* أوروبا الشرقية:

- يوغسلافيا والمستقبل الغامض

الشك يخيم على كل شيء. لقد اختفت الثقة من يوغسلافيا، فحتى أولئك الذين عرفوا بعضهم جيداً لفترة طويلة، وقضوا مع بعضهم البعض أوقاتاً ممتعة، أصبحوا لا يثقون في بعضهم البعض. والسبب الرئيس في ذلك هو العنف الذي يحدث يومياً، والذي أصبح ميزة من ميزات الحياة اليوغسلافية. ولقد حدثت خلال السنوات القليلة الماضية توترات عرقية شديدة وتصاعد الشعور بالكراهية والحقد الى درجة لاتتصور: ابتداءً من (كرواتيا) غربا الى (صربيا) شرقا، وانتهاءً (بفو يغودينا) شمالا الى (ماكيدونيا) جنوبا.

وفي وقت حاولت فيه السلطات الرسمية إفساح المجال لجو الديمقراطية، استغل القوميون التوترات العرقية ليقضوا على الشيوعيين من أجل تأييد شعبي عام. وهذا في صالحهم - عموماً - بسبب الماضي المؤسي للبلاد.

ولكن الأمور لم تسر كما كان متوقعاً، فانتقل العنف من تلك المرحلة الى أن أصبح ميزة من ميزات الحياة اليومية.

لقد استعمل القوميون المسألة القومية كجسر بين سياسة الحزب الواحد والنظام السياسي المتعدد الأحزاب. ولكن، يبدو وكأن الشعب اليوغسلافي لم يعبر هذا الجسر كله، فهو متردد في اتخاذ الخطوة اللازمة للالتحاق بركب أوروبا الديمقراطية. لقد حان الوقت بالنسبة لليوغسلافيين حتى يقرروا نوع النظام السياسي الذي يريدون في بلادهم. وإذا لم يتم هذا، فقد يتعرضون الى اضطرابات في منطقة البلقان مثلما حدث في ١٩١٤ عندما تم اغتيال الامبراطور فرديناند. فمن الواضح أن البنية الفيدرالية التي كانت تقوم على نظام دائري معقّد للجمهوريات، خاضع للزعامة الفيدرالية، لم يعد فعّالاً منذ وفاة الماريشال (تيتو). وتجاوزاً لهذه الأزمة، قدمت كل من جمهورية (كرواتيا) و (صلوفينيا) وهي أغنى جمهورية في يوغسلافيا، خطة نظام كونفيدرالي يضع كل من السلطات الأمنية وشؤون السياسة والاقتصاد في أيدي الجمهوريات نفسها. ومثل هذه الخطة من شأنها أن تنجح بشرط أن تكوّن الجمهوريات مؤسسات خاصة بها تحترم حقوق كل الأقليات العرقية. أما البديل المطروح للنظام الفيدرالي فهو صيغة منقحة للنظام الفيدرالي الذي اقترحته جمهورية (صربيا)، أكبر جمهورية في يوغسلافيا. وهنا بالضبط يكمن المشكل، إذ يخشى سكان (كرواتيا) و (صلوفينيا) من سيطرة هذه الجمهورية كما حدث في الماضي.

والواقع أن ذكريات الماضي التي زادت عليها الكراهية العرقية والعنف، يحولان دون وصول الجمهوريات الى خطة عمل مستقبلية.

والشيء المقلق في هذا كله هو أنه لايوجد أي حزب أو أية شخصية سياسية بإمكانها أن تقدم خطة سياسية تتجاوز الاختلافات العرقية. أما الدور الذي يلعبه التلفزيون والاذاعة اليوغسلافية فهو دور دنيىء حقا، إذ لم يحاولا القيام بأي شيء كفيل بتخفيف حدة العداوة العرقية، دع عنك تقديم أية رؤية تشرح القواعد التي سيقوم عليها مستقبل النظام السياسي في يوغسلافيا.

إننا لانجد أية محطة تلفزيونية على المستوى الفيدرالي بإمكانها أن تعطي ولو القليل من النزاهة والتجرد. ولهذا نفهم جيدا إلحاح الوزير الأول السيد (انتي ماركو فيتش) على إقامة محطة تلفزيونية فيدرالية.

ومن جهة أخرى، تقول آخر التقارير من هذا البلد أن الأحزاب القومية قد تغلبت على الحزب الشيوعي الحاكم في الانتخابات التي جرت في جمهورية بوسينا ـ هرزغوفينا، الأمر الذي سيعمّق من الخلافات العرقية، والذي سيكون عائقاً حقيقياً بالنسبة للوزير الأول الذي يحاول توحيد البلاد.

وللعلم، فإن هذه الانتخابات هي أول انتخابات حرة تضم عدة أحزاب في الجمهوريات اليوغسلافية، بعد ٤٥ سنة من الحكم الشيوعي.

* الاتحاد السوفياتي والشرق الأوسط:

ـ الاتحاد السوفياتي وأزمة الخليج

أصبح للاتحاد السوفياتي منذ مجيء غورباتشوف علاقات طيبة مع العالم الاسلامي. وكان انسحاب القوات الروسية من أفغانستان (مع بقاء تأييده لنظام كابول) خطوة كبيرة نحو هذا الاقتراب.

ومع هذا، يجب أن نقول أن هذا الانسحاب لم يقدم أو يؤخر أي شيء، لأن الاتحاد السوفياتي لم يحاول أن يقبل أي حل سلمي يستعيض عن نجيب الله. هذا الأخير الذي يبقى أساس الأزمة الحالية في أفغانستان.

وإذا وضعنا المشكلة الأفغانية جانباً، أمكننا أن نلاحظ تدخل السوفيات في شؤون دولية أخرى، مثل أزمة الخليج، الذي دخل فيها كوسيط بين الأطراف المتنازعة. لقد أصبح موقف الاتحاد السوفياتي بعد غزو صدام حسين للكويت موقفاً حرجاً، مما اضطره الى الموافقة على قرار الأمم المتحدة المتعلق بإرسال قوات عسكرية دولية الى المنطقة، بالرغم من علاقة الصداقة الطويلة التي كانت تربطه مع العراق.

ومع هذا، لم يكتف الاتحاد السوفياتي بالموافقة على قرار الأمم المتحدة الذي ينص على انسحاب العراق من الكويت، بل قام بعدة محاولات توسط، اقترح فيها بعض الحلول السلمية بدلاً من الحل العسكري الذي يفضله الرئيس بوش.

لقد طاف المبعوث السوفياتي الخاص بالشرق الأوسط (يفغيناي بريماكوف) بكثير من دول الخليج والبلدان المعنية، وقابل زعمائها ومن ضمنهم صدام حسين، ولكنه فشل في الوصول الى حل سلمي يرضي جميع الأطراف. وتجدر الاشارة كذلك الى أن الاتحاد السوفياتي لايوافق على تجميع أمريكا لقوتها العسكرية في منطقة الخليج، بهذا الحجم الذي نعرفه اليوم.

واقترح الاتحاد السوفياتي، من جهة أخرى، عقد مؤتمر دولي من أجل إيجاد حل لمشكلة الخليج ومشكلة فلسطين. ولكن هذا الاقتراح واجه معارضة من دولة إسرائيل وحلفائها الذين لايريدون مناقشة مسألة فلسطين في هذا المؤتمر. ومع هذا، فنحن نعتقد أن هذا الاقتراح لايبدو نزيهاً، بسبب تدفق آلاف من اليهود السوفيات سنوياً الى إسرائيل. ونعلم أن هجرة اليهود السوفيات الى الأراضي المحتلة جعل المشكلة الفلسطينية أكثر تعقيداً.

وبالطبع، فإن الاتحاد السوفياتي استغل الأزمة الراهنة استغلالاً جيداً، وحسّن علاقاته الديبلوماسية مع بعض دول هذه المنطقة. وهو يشعر الآن بثقة في الشروع في أي حوار مع بلدان الخليج، بالرغم من الاختلاف السياسي الواضح.

إذ تعتقد دول الخليج أن الولايات المتحدة هي سنان الأمر كله بالنسبة لأي حل في المستقبل.

لقد تردد الاتحاد السوفياتي في إرسال قواته الى الخليج لأسباب داخلية. إن تجربة الاتحاد السوفياتي في أفغانستان كانت مريرة جدا، حتى حتى أن الانتقادات حول هذا التدخل لازالت مستمرة الى اليوم. فلقد تعلم الاتحاد السوفياتي عدم إرسال قواته الى الخارج وإن كان ذلك تحت علم الأمم المتحدة. وإضافة الى موقف الشعب السوفياتي، فإن الخبراء قد أخذوا بعين الاعتبار الآثار السلبية التي

قد تنجم عن إرسال قوات سوفياتية الى الخليج في داخل الاتحاد السوفياتي نفسه.

فعدد المسلمين الموجود في الاتحاد السوفياتي هائل، وهؤلاء يعتقدون أن أزمة الخليج أزمة عربية ويجب أن تجد حلاً لها في أوساط العرب أنفسهم. فأي موقف من السلطات السوفياتية لايتماشى وهذا الاتجاه قد تكون آثاره على الأمن الداخلي وخيمة جداً.

لقد غضب المسلمون في كل أنحاء العالم من تدخل القوات الأجنبية في منطقة الخليج. ولهذا فالسلطات السوفياتية تعمل كل مابوسعها لتفادي أي غضب جماهيري داخلي.

إن السلطات السوفياتية، بكل المساعي التي تقوم بها حالياً، وبمساعدة السياسة الخارجية الحالية، تود أن تلعب دوراً رئيسياً في كل الشؤون الدولية.

* مراجعة كتب:

- الاسلام والقومية

- لفين، ز. آي : (الاسلام والقومية في بلدان الشرق الأوسط)
موسكو، نوكا، ١٩٨٨، ٢٢٤صفحة.

بالرغم من ان ظاهرة القومية ظاهرة حديثة نوعا ما في الفكر الاسلامي، إلا أننا يمكننا القول ان الاسلام والقومية قد ربطا ربطاً وثيقاً في سياق بلدان الشرق الأوسط، حتى وإن كان هذا الربط مليئا بالتناقضات. فلقد كان التدخل بين هذين التصورين أحد العوامل التي عملت على التطور السياسي - الاجتماعي للبلدان الاسلامية خلال المائة سنة الماضية.

على أن جدلية هذا التداخل تحمل - عموما - قيماً سلبية تحول دون التطور الاجتماعي - المنشود ككل - في العصر الحالي.

لقد خفت قوة تأثيرها الايجابي في فترة صراع الشعوب الاسلامية من أجل طرد المحتل وتحقيق الاستقلال، ويعتقد مؤلف الكتاب أن المؤسسات الاجتماعية في الاسلام كانت تحوي في طياتها بقايا المجتمعات القبلية، لأنها نشأت في مهد ازدهار المرحلة الاقطاعية. ولهذا فهي غير قادرة على مقابلة احتياجات العالم المعاصر. وبقدر مايعكس الدين الوجود الاجتماعي للانسانية في صور واشكال مختلفة، وبقدر مروره بالتغيرات المختلفة التي تصحب ذلك، كذلك فقد تغيرت الصيغ العتيقة التي ظهرت في المرحلة الاقطاعية الاولى من نشأة الاسلام بتغير الزمن. وزيادة على ذلك، فقد تلونت هذه الصيغ بألوان وأشكال مختلفة، وذلك باختلاف المجتمعات والبلدان.

وعليه فالاسلام اليوم يقر افكاراً عديدة، جعلت القومية تحتل أعلى مرتبة في قائمة هذه الأفكار في كثير من الأحيان، لأن هذه الفكرة قادرة على تحفيز الحركات الاجتماعية السياسية في البلدان الاسلامية.

ومن جهة أخرى يظهر وكأن القومية كقوة سياسية مسيطرة قد أخذت وجهة تاريخية مقدرة، كانت مسألة "الهوية القومية" ومسألة "الاستقلال" أهم عنصرين من عناصرها.

وبصفة عامة، نضطر في غالب الأحيان الى تحديد علاقة بين القومية وبين الاسلام مع قياس ذلك

بميزان مفهوم القومية التقليدي.

لقد تحالف الاسلام والقومية وانضما جنبا الى جنب خلال حروب الشعوب الاسلامية ضد المستعمرين من أجل تقرير المصير. وحاربا كذلك ضد الامبرياليين الغربيين.

بالرغم من أن رؤية الطرفين كانت مختلفة نوعا ما: فالقوميون كانوا ينظرون الى المستعمر كقوة معتدية، بينما كانت التجمعات الاسلامية تنظر الى المستعمر كقوة مسيحية معتدية.

إن مشكلة "القومية والاسلام" مشكلة معقدة، وتداخلها المباشر المتنوع يمكن أن نراه منعكساً في شتى مجالات الحياة: الاجتماعية، والاقتصادية والسياسية. وإجمالاً، يمكن أن نقول عن هذا التداخل أنه تداخل بين القديم والجديد، بين الماضي والحاضر، بين القومية والعالمية، بين الأمر المشترك والأمر الخاص.

لقد حاول المؤلف أن يحلل أهم التصورات التي قدمها العلماء والمفكرون المسلمون، كما حاول أن يبين بيانياً تطور الاسلام الحديث وتأثير الميولات القومية عليه.

وعلى كل ، فهذا الكتيب هو أول محاولة من باحث علمي سوفياتي لمناقشة المشكلات التصورية الناتجة من تداخل الاسلام والقومية والتي تعتبر واقعاً ملموساً في بلدان الشرق الأوسط.

* مطبوعات:

- إصدارات جديدة عن آسيا الوسطى باللغة الانجليزية

١- أيتيماتوف، سينغيز: (الأرض وقصص أخرى). ترجمة (جيم ريورادان). لندن : فابر وفابر، ١٩٨٩. ٣١٤ صفحة. ١٢,٩٠£

٢- رومر، بوريس. ز: (آسيا الوسطى السوفياتية: تجربة مريرة). بوسطن : أنوين هيمان، ١٩٨٩، ٢٠٤ صفحة

٣- صراي، محمت: (الأتراك في عصر الامبريالية: دراسة حول الشعب وإدراجه ضمن الامبراطورية الروسية) (سلسلة ٧، عدد ١٠٣).

٤- أرندت، روبرت (ناشر): (عالم أرامكوا: المسلمون في الاتحاد السوفياتي). عدد خاص إسكونديدو، س، أي، عالم أرامكوا. ١٩٩٠. ٢٢٦ صفحة.

٥- صارين. تيلال راح: (التدخل البريطاني في آسيا الوسطى والقوقاز ١٩١١) دلهي الجديدة: مطبوعات أغول، ١٩٨٩. ٢٢٦ صفحة

٦- سينور .د (ناشر): (تاريخ آسيا الوسطى، مجلد ١ : من الأزمنة القديمة الى ظهور المغول). كمبريدج: مطبوعات جامعة كمبريدج ١٩٩٠. ٥٤٠ صفحة ٦٠£

٧- الوورث ، إدوارد: (الأوزباكستانيون في الفترة المعاصرة: من القرن الرابع عشر الى الآن: تاريخ ثقافي). ستانفورد، س. أي. مؤسسة هوفو للنشر ١٩٩٠. ٤١٠ صفحة

٨- هونر ميلان. ل: (ماذا تمثل آسيا بالنسبة لنا؟ قلب روسيا الآسيوي بالأمس واليوم). لندن: أيوين هيمان، ١٩٩٠، ٢٦٤ صفحة. ٣٠£

٩- هوبكيك، بيتر: (اللعبة الكبرى: حول أعمال التجسس في آسيا، والديبلوماسية البريطانية في آسيا الوسطى. لندن جون مرواي للنشر ١٩٩٠، ٥٧٢ صفحة . ١٧,٩٥£

١٠- ماغووان، روبرت: (المدن الاسطورية في آسيا الوسطى: سمرقند، بخارى، كهيفا) لندن: كاسل، ١٩٩٠، ١٩١ صفحة. ٢٩,٩٥£.

If undelivered please return to:
The Islamic Foundation,
Markfield Dawah Centre,
Ratby Lane, Markfield, Leicester, LE6 0RN, UK